"المثقف وعلاقته ببيئته"

أ. عباد زينب

جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس
Zouzou8842@live.fr

الملخص بالعربية:

يشكل المثقف مسألة جد هامة تكتسي العديد من الآراء والمواقف، خاصة كون المثقف على إختلاف شكله أو إيديولوجيته لعب دورا هاما وفي أوقات وحضارات مختلفة . إذ تتفق أغلب قواميس ومعاجم اللغة العربية على أن المثقف هو الشخص المتعلم أو الشخص الذكي الحذق. حيث لم ترد هذه المفاهيم قبل سنة **1894** بالمعنى المتعارف عليه الآن، إذ تعتبر هذه السنة المرجعية التاريخية للمصطلح، كونه بدأ في الظهور أثناء محاكمة الضابط اليهودي دريفوس، مادفع بالشخصيات المرموقة في المجتمع الفرنسي بإتخاذ موقف رافض لهذه التهمة من خلال إصدارهم لبيان بتوقيعاتهم، حمل اسم "بيان المثقفين".لكنه وبرغم كل الدراسات والبحوث يبقى هذا المصطلح متعدد التأويلات و التعاريف، فقد يرتبط برفض الواقع السائد والسعي إلى تغييره، أو بالمؤهل العلمي أوالدبلوم رغم رفض العديد من الفلاسفة والمفكرين مسألة إرتباط المثقف بالمؤهل العلمي، بل عليه حسب رأيهم المشاركة الفعلية في خدمة الشأن العام وعدم الإكتفاء بالتنديد فقط..

Abstract :

The term ''intellectual'' has always been in the heart of opinion discussions and all kinds of thinking standards. This is, especially, due to the diversified nature of intellectuals'' aspects and ideologies as they play a central role through different stages of their civilization. Many Arabic dictionaries and encyclopedias agree upon the fact that the intellectual is an educated, intelligent or skillful person. Such qualities did not come to life, in their current and shared meanings, before the year 1894 considered as a historical reference for the term ''intellectual''. This latter became widely used in France during the Dreyfus affair which pushed famous celebrities of the French society to stand against the Jewish army officer indictment through a declaration signed by these same persona called ''intellectuals declaration''. However, the situation is that although many studies researches treated this term, it remains charged with numerous interpretations and definitions as it is linked to some sort of reality

refusal and a will of change. It is also an indicator for a scientific qualification or diploma, even though many philosophers and thinkers rejected to associate it with any kind of scientific status. The only criterion they accepted to admit is the efficient contribution to common affaires and to go beyond mere protesting stands.

تمهيـد:

تتعدد التعريفات والآراء حول مفهوم المثقف حسب المدارس الفكرية والفلسفية، وعلاقته بالفكر والثقافة، والدور الذي يلعبه هذا المثقف داخل مجتمعه إما كمعترض أو ناقد مشروع، أو مبشر بآخر أو صاحب قضية معينة . حيث تأرجح مفهوم المثقف في الثقافة العربية المعاصرة بين مرجعيتين خاصة ، مرجعية المنظر الشيوعي الإيطالي أنطونيو غرامشي **(1937/1892)** ومرجعية الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر **(1981/1905)**. ومن هنا نتساءل عن أصل ومعنى هذه الكلمة، فمن هو المثقف وماعلاقته بالسلطة أيا كان نوعها أو شكلها؟ هل هو مفكر يدعو إلى التغيير ويعمل في سبيله إذا آمن وإقتنع به، أم هو مفكر نظري يعيش بعيدا عن الواقع ويكتفي بالتنظير والتنديد.

المعنى اللغوي لمفهوم المثقف:

لم يكن لمصطلح "مثقف" بمعناه المتداول في الفضاء الثقافي الحالي وجودا قبل سنة **1894** وهو مصطلح مترجم من القرن التاسع عشر وبالتحديد من مصطلحات مثل intellectual /scholer/literati، والأقرب هو المصطلح الأول intellectual المتماشي مع مفهومنا عن المثقف صاحب الفكر والأدب[1]، وعند العودة لمعاجم اللغة العربية لن تجد كلمة مثقف وإنما تجد كلمة "ثقف" وتأتي بمعنى "حذق" لكننا نجد هذه الكلمة في معجم المحيط المحيط لبطرس البستاني في العصر الحديث كلمة مثقف بمعنى قريب جدا إلى المعنى المألوف والمتداول في المجال الثقافي وتأتي بمعنى: (متعلم وله معنى بالمعارف) أي ذو ثقافة ، ويضيف أيضا المؤلف عبارة "النخبة المثقفة" أي نخبة من أهل الفكر والثقافة ، وهي كلمات لم ترد في فترات ماقبل سنة **1894** بالمعنى المتعارف عليه الآن.

حسب بعض الكتاب، كلمة مثقف في اللغة العربية تقابلها في اللغة الاروبية كلمة Inteligentsia، وهي اسم مصدر والصفة منها هيIntellectuel ، وأصل الكلمتين معا هو Intellect أو .Intelligence وكلمة Intellect تعني الفطنة أو الذكاء أو العقل أو

قدرة الإدراك والفهم والاستنتاج[2]، أي الصفة منها تعني العاقل والمتفهم ،وتطلق على الرجل الذي يحسن التفكير، ومن ثم على أهل الفكر أو Inteligentsia على شريحة من المجتمع تكون من صفاتها المتميزة هي استعدادها الفكري والعقلي وذكاؤها[3].

وعليه فإن كل إنسان ذكي يبرز ذكاؤه وفكره وفهمه عن سائر مواهبه الأخرى في حياته ومجتمعه فهو مثقف.

أما في لسان العرب لم يرد تعريفا لكلمة "مثقف" في وصف شخص بل "ثقف" ،ويفسرها ابن منظور كمايلي: "إن المراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه...وثقف الخل ثقافة ، وثقف، وثقيف بالتشديد ". وإن كلمة مثقف مشتقة من كلمة ثقافة تقابلها كلمة intellegence - ذكاء- في اللغة الفرنسية[4] .كما تدل الكلمة على عدة معان أخرى منها: الحذق، سرعة الفهم، الفطنة، الذكاء، سرعة التعلم، وتسوية المعوج من الأشياء، والظفر بالشيء، قال تعالى: (فإما تثقفنهم في الحرب)[5].

وعرَّف مجمع اللغة العربية (الثقافي) بأنه: "كل ما فيه استنارةٌ للذهن، وتهذيبٌ للذوقِ، وتنميةٌ لِمَلَكة النقد والحُكْم لدى الفرد والمجتمع"، ويتَّضح هنا ارتباط هذا التعريف بالدلالات اللغوية السابقة.

ظهور المصطلـح:

من المهم جدا متى كان أول ظهور لمصطلح "المثقف" بمعناه الرائج في الفضاء الثقافي المعاصر وفي أي سياق تم إطلاقه .فإن أغلب الأبحاث التاريخية والإجتماعية تتفق على أن مفهوم المثقف نشأ مع ظهور قضية "دريفوس"، غير أن هذا لايعني أن مضمون أو مدلول مصطلح "المثقف" كان غائبا قبل ذلك. فمن بين القضايا التي حملت دلالة هامة في هذا الصدد قضية سقراط وقضية فولتير. يلخص الفيلسوف أفلاطون قضية سقراط فيمايلي: (ظننت أن النظام الجديد سوف يضع حكم العدل مكان حكم الجور، وكرست له كل إنتباهي لأرى ماسيفعله. فرأيت هؤلاء السادة في وقت قصير جدا وقد جعلوا الديمقراطية التي حطموها تبدو وكأنها العهد الذهبي. لقد أمروا سقراط ـ صديقي المسن الذي لن أتردد في تلقيبه بأعدل رجال عصره ـ أن يشترك في القبض على مواطن كانوا يريدون إزاحته عن طريقهم. وكانوا يبغون من وراء ذلك إشراك سقراط ، أراد هو أو لم يرد، في أعمال النظام الجديد. وقد رفض سقراط الخنوع لهذا واستعد لمواجهة الموت، مؤثرا هذا على أن يصبح أداة

لجرائمهم)[6]. أي أن المثقف في الحالة هذه عبارة عن موقف يتحدى السلطة للوقوف في وجه الظلم والاستبداد.

أما قضية فولتير فتتلخص أحداثها في يوم **17**أكتوبر**1762** عند عودة التاجر البروتستانتي كالاس إلى منزله من العمل بتولوز[7]، حيث كان يعيش برفقة أسرته البسيطة في مدينة ذات أغلبية كاثوليكية ،إكتشف ابنه مشنوقا ببيته. وخوفا من عار القضية وقيام الكاثوليك بحرق ابنه الذي خالف بإنتحاره تعاليم المسيح حسب معتقداتهم، إدعى الأب أن الأمر عبارة عن جريمة قتل، لكنه كان المتهم الأول والرئيسي في ذلك بهدف منع ابنه من التحول إلى الكاثوليكية. فتعرض كالاس لمحاكمة صورية أوجبت إعدامه ومصادرة أملاكه. غير أن زوجته وأبناؤه اهتموا بالقضية وتمكنوا من إقناع أكبر الفلاسفة وهو فولتير بالدفاع عنها. فكان كتابه "محاولة في التسامح" صرخة ملتزمة في المجتمع الفرنسي أدت إلى إعادة فتح ملف القضية سنة **1765** ببرلمان باريس[8]، الذي أعلن عن براءة كالاس ودفع تعويضات لأسرته تعويضا عما لحق بهم وبالأب من اضطهاد ديني.

لقد أعتبرت هاتان القضيتان في تاريخ الفكر الغربي نموذجا لسلوك المثقف في مواجهة سلطة الطغيان كما أعتبرت علامة لسلطة وقدرة المثقف حين يكون مقرا لحق أو دافعا لشبهة. غير أن ماحدث في فرنسا في القرن التاسع عشر كان أقوى، سواءا من حيث المشاركة المكثفة للمفكرين، أو من حيث تأثير القضية على المجتمع الاروبي بشكل عام. شكل ذلك حدثا جديدا في تاريخ الفكر الغربي: إنه نشأة "المثقف" كما بلوره الفكر الحديث.

ففي أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة **1894**في باريس حكم على ضابط فرنسي يهودي اسمه "ألفريد دريفوس"بالنفي إلى غويانا بتهمة التجسس لصالح ألمانيا وكانت هذه التهمة موضع شك من قبل أهله الذين اتجهوا للرأي العام مطالبين بتفعيل قضيتهم والمطالبة بإعادة المحاكمة بعد الإثبات بزيف الوثائق التي أدين بها. فاستطاعواأن يحشدوا شخصيات مرموقة في الفكر والأدب في فرنسافي ذلك الوقت منهم"إميل زولا "[9] والذي ساهم مع آخرون في إصداربيان يعبرون فيه عن وجهة نظرهم وحمل هذاالبيان توقيعاتهم، وقد نشرته جريدة لورو الفرنسيةيوم **14** يناير **1898** بعنوان " بيان المثقفين " وأنقسم الرأي العام بعد هذا البيان بين مؤيد لإعادة المحاكمة ومطالب بتثبيت العقوبة (التجمع الجمهوري الذي يضم شخصيات يسارية إشتراكية و الوطنيين خصوم الجمهورية الذين عارضوا إعادة

المحاكمة) وبعد صراع مرير بين هذين الطرفين إنتصر الجمهوريون وأعيدت المحاكمة وخفض الحكم إلى السجن لمدة 10 سنوات ورفعت إلى محكمة النقض التي ألغت الحكم وأطلقت سراحه وأعادت إليه إعتباره[10].

لقد كانت هذه الحادثة بالغة الأثر في الحياة السياسية والفكرية الفرنسية ، ولازالت أصداؤها تتداول في الكتابات المعاصرة ، حيث يختلف الباحثون إختلافا كبيرا في تفسيرها وتحديد نتائجها.

وما يهمنا في هذه الحادثة هو أنها تعتبر المرجعية التاريخية في فرنسا لمقولة المثقفين .ذلك أن هذا اللفظ استعمل لأول مرة في وصف العاملين في مجال الفكر والأدب تحديدا ،الذين إتخذوا موقفا من الشأن العام في فرنسا مابين (1894/1899) في وصفهم مثقفين .وقد استخدمها النقاد لاحقا وبكثرة في وصف دور إميل زولا ومن معه من المثقفين في سياق توقيعهم عريضة سياسية إنتقدوا فيها العداء للسامية الذي رافق محاكمة الضابط اليهودي "ألفريد دريفوس" وفبركة الأدلة في محاكمته.

فقد إجتمع هنا رجال فكر وأدب على إتخاذ موقف مشترك على قضية سياسية راهنة أشغلت المجتمع الفرنسي في حينه . وهذا المصطلح يوازيه مصطلح "أنتلجنتسيا"[11] بالروسية كما صاغه مثقفو الحركة الشعبية الروسية ،والذي لا يرتبط بالمؤهل العلمي أو الدبلوم أو الإختصاص بل برفض الواقع السائد وتغييره من منظور الشعب. والمشترك بين المصطلحين الفرنسي والروسي هو رفض المثقفين للواقع السائد[12].

وقد كان هذا اللفظ الذي يقابله بالعربية لفظ "فكريون"[13] يستعمل كوصف ونعت ، ثم أصبح يطلق على مجموعة من الناس وهم أولئك المفكرون والأدباء والمؤرخون .. وهم من قاموا بتلك الحركة الإحتجاجية دفاعا عن حق الضابط المتهم . شقت بعد ذلك الكلمة طريقها لتطلق على المشتغلين بفكرهم لا بأيديهم في فرع من فروع المعرفة ، وهم من يحملون آراءا خاصة حول الإنسان والمجتمع ، ويقفون موقف الإحتجاج والتنديد إزاء مايتعرض له الأفراد والجماعات من ظلم وتعسف من طرف السلطات أيا كان صنفها سياسية أو دينية.

إذن فإن كلمة "مثقف" حديثة الظهور مرتبطة بقضية "دريفوس" التاريخية ، وقد استعملت في أول الأمر للتعبير عن طليعة ثقافية وسياسية استطاعت أن تتحدى الدولة .ولم تختف

الكلمة بعد حل تلك الأزمات السياسية بل استمرت في الاستعمال مابعد ذلك للإشارة إلى فئات إجتماعية أحيانا ، أو لوصف طريقة للإحاطة بالسلطات الحاكمة أحيانا أخرى[14].

أي بإمكاننا القول بأن المثقف هو موقف وليس حالة. موقف يرفض الوضع القائم ويسعى إلى تغييره بشتى الوسائل، ولايكتفي بالتنديد فقط.

تأثير البيئة على المثقف:

لاشك أن البيئة الثقافية تلعب دورا أساسيا في تشكيل المثقف كشخص ذو مواقف .

ظهر هذا المصطلح ـ البيئة الثقافية ـ منذ عام **1902** من طرف العالم "جوليان ستيوارد"[15]، وهو تصور البيئة الثقافية كمنهج يساعد على فهم كيفية تكيف الإنسان مع مجموعة من البيئات المختلفة وحسب رأيه فإن أي تكيف بشري معين هو جزء مورث تاريخيا ويتضمن التقنيات والممارسات والمعرفة التي تسمح للناس أن يعيشوا في بيئة معينة . أي بمعنى أن البيئة تأثر على التكيف البشري لكنها لاتحدده بشكل كامل.

أي أن ستيوارد يحاول أن يوضح أن البيئة والثقافة قد ينفصلان في الكثير من المواضع، بمعنى قدرة كلا منهما على التأثير في طبيعة التكيف البشري مرتبطة ببناء كل واحدة منهما، غير أنه ودون شك البيئة الإجتماعية تؤثر على ثقافات المنطقة من خلال عناصرها المكونة لها مثل الدين، العادات والتقاليد...وغيرها.

فإنطلاقا من الوقائع التاريخية المشار إليها سابقا يتم التأكيد على دور البيئة في تشكيل شخص المثقف والتأثير على أفكاره وإيديولوجيته. فإن المثقف هو كل من يمارس نشاطا ذهنيا ،ويدافع عن قيم العدالة والحرية والمساواة وسط بيئة يملؤها الظلم والاستبداد. أي أن المثقف ابن بيئته، فلولا الرغبة في تغيير الأوضاع الاستبدادية التي ميزت كل من إميل زولا، فولتير ..وغيرهم لما قام هؤلاء بإتخاذ موقف مناقض للسلطة بهدف إخضاعها ونشر قيم العدل والتسامح والمساواة. هذا فيما يتعلق بالمثقف العضوي وسعيه المستمر في قضايا الشأن الإجتماعي.

يوضح أنطونيو غرامشي من ناحية أخرى وبرؤية جديدة بأن مسألة الإهتمام بالبيئة هي قضية المثقف العضوي لوحده[16]، باعتباره وإلى جانب تخصصه الأدبي أو العلمي فهو عنصر فعال داخل مجتمعه يمنح إهتماما بالغا لقضايا الشأن الإجتماعي، فهذا المثقف بالتحديد هو الأمل الحقيقي في تبني قضية كبرى كقضية البيئة وصيانتها.

ومنه نخلص إلى العلاقة الكامنة بين المثقف وبيئته، فهي علاقة تأثير وتأثر، فإن البيئة الثقافية تساهم في تكيف المثقف مع عناصرها، وهذا الأخير بدوره يهتم بقضايا بيئته المختلفة ويدافع عنها.

المعنى الإصطلاحي:

من الناحية الإصطلاحية فإن تفسيرالكلمة في القواميس يدل على شخص يغلب عليه استخدام الذكاء . ويقال "أن المثقفون هم أفراد يتمتعون بالمعرفة، أوهم الذين تقوم أحكامهم وآراؤهم على العلم والمعرفة" وذلك حسب ماتعرفه دائرة معارف العلوم الإجتماعية الصادرةسنة **1932** . في حين تقترح دائرة المعارف الدولية الصادرةسنة **1968** تعريفا مغايرا كمايلي: "المثقفون مجموعة من الأفراد مهما كان المجتمع يستخدمون في عملية الإتصال ونمط التعبير رموزا تتصل بمواضيع مختلفة كالإنسان والمجتمع والطبيعة والكون..."(17) .

أما دائرة المعارف السوفياتية الكبرى ،فتعرف المثقف على أنه "شريحة إجتماعية تتكون من أناس يتمثل نشاطهم في العمل الذهني المتصل أساسا بفهم وإبتكار أشياء شديدة التعقيد"(18) .أماقاموس علم الإجتماع في طبعة سنة **1993** يقول بأن المثقفين "هم الذين يقدمون سمعتهم أوسلطتهم كمبتكرين ليساهموا في التعبير عن قيم قديمة ونشرها في المجتمع"(19). من جهة أخرى يعرف القاموس العلمي للاستاذ يوسف شلالة مفهوم المثقف على أنه مذهب عقلي ، ويقدم قاموس "لاروس" عدة مرادفات لهذا المصطلح مثل مفكر وعالم..أما قاموس اللغة والإعلام طبعة **1975** يعرف المثقف على أنه من يملك ثقافة، والثقافة حسب نفس القاموس تتلخص في إتقان العلوم والفنون والآداب .لكن قاموس البستاني يقدم معنى مغاير تماما للثقافة: "الثقافة نوع من التربية يمارسها الإنسان على نفسه لبلوغ المثل الأعلى..."(20) .وبالنسبة لقاموس العلوم الإجتماعية فقد قدم مفهوما أكثر تفصيلا مشيرا إلى أن المفهوم ظهر بروسيا مع نهاية القرن التاسع عشر ليدل على النخبة القادمة من الغرب أو التي كانت تدرس بالجامعات الروسية.

ـ لقد أوردت مختلف القواميس ودوائر المعارف الصادرة باللغة العربية تفسيرات متعددة ومختلفة لمصطلح "مثقف" وذلك في سياق خاص بالحضارة العربية الإسلامية ،ما أعطى معان وقيم مغايرة تماما للقيم والمعاني المعروفة في الحضارة الغربية.

ـ غير أننا نلاحظ ومن ناحية أخرى بأن أغلب القواميس والمعاجم تربط مفهوم المثقف بالمؤهل العلمي والدبلوم، فيصبح في هذه الحالة مثقفا تقليديا لأنه لايشارك في عملية التغيير بل يكتفي بالتنظير والنقد.

المثقف في منظور بعض الفلاسفة:

من جهة أخرى ومن أجل الوقوف بشكل واضح على مصطلح المثقف نحاول هنا أن تستعرض بشكل موجز بعض النماذج لتعريف المثقف جعلتنا نقوم بعملية النمذجة حسب المراجع الفكرية التي وقفت على سؤال المثقف وماهية هذاالكائن ووظائفه أودوره الإخلاقي والسياسي أوالأجتماعي والمعرفي. وفي هذا الإطار يمكن أن نرجع كل نموذج للمثقف الى المفكرأو الفيلسوف الذي تناول مفهوم المثقف وشَخّصَ حقيقته على ضوء تاريخه المُعاش والمعطيات السياسية والإجتماعية أوالأقتصادية والثقافية السائدة في زمنه. وهنا يمكن الإشارة الى التعاريف التي نجدها لدى كل من غرامشي، جان بول سارتر، ادوارد سعيد، ميشال فوكو، وجوليان بيندا.

ـ المفهوم الغرامشي للمثقف[21] :

يقول أنطونيو غرامشي في مذكراته التي كتبها في السجن أن جميع الناس مفكرون ،لكن وظيفة المفكرأو المثقف في المجتمع لايقوم بها كل الناس .ويحاول أن يبين من خلال ذلك أن المثقفين ينقسمون الى قسمين: المثقفين التقليديين مثل المعلمين و رجال الدين والإداريين ممن يواصلون اداء العمل نفسه من جيل الى جيل.. والمثقفين المنسقين (أوالعضويين) المرتبطين مباشرة بطبقات أوبمؤسسات تستخدم المثقفين لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوة وزيادة السيطرة[22]. ويقول أيضا غرامشي عن المثقف المنسق: " إن المثقفين بما هم مثقفون،لايشكلون طبقة مستقلة، بل إن كل مجموعة إجتماعية لها جماعة من المثقفين الخاصة بها ،أوهي تعمل على خلقها " وظيفتهم القيام لها بدور أداة الهيمنة و وسيلة السيطرة وتحقيق الإنسجام داخل المجموعة ،وبذلك يتحقق وضع المثقف من خلال المجموعة الإجتماعية التي يخدمها، من خلال الدور الذي يقوم به في السياسة والصيرورة التاريخية،فيكون مثقفا تقليديا عندما يرتبط بالطبقات القديمة والآيلة للزوال . ويكون مثقفا جديدا ناقدا عندما يساهم في تعبئة المجموعة الإجتماعية الصاعدة وبلورة مطامحها وأهدافها .وبعبارة أخرى ،إن المثقفين إما أن يكونوا أدوات للهيمنة على مستوى المجتمع المدني

،الهيمنة التي تمارسها المجموعة الإجتماعية المسيرة على مجموع الجسم الإجتماعي، وإما أن يكونوا أداة من أدوات السيطرة على مستوى المجتمع السياسي[23].

كما يعتقد غرامشي أن المثقفين المنسقين يشاركون مشاركة إيجابية في النشاط الإجتماعي، بمعنى أنهم يناضلون دائما في سبيل تغيير الأفكار والآراء ،على عكس المثقف التقليدي من المعلمين والكهنة الذين يظلون فيما يبدو دائما في مكانهم، ويقومون بالعمل نفسه عاما بعد عام . في حين أن المثقف المنسق أوالعضوي يتميز بالحركة الدائمة والإنتاج الدؤوب الذي لا يتوقف.

أما الفيلسوف جان بول سارتر فيعرف المثقف على أنه هو ذلك الكائن الذي يتدخل فيما لايعنيه ،أي أن المثقف واجب عليه أن يكون ملتزما إزاء المساهمة الفعالة في معالجة أهم قضايا المجتمع الجذرية ومحاولة إصلاحها،بما يفيد هذا المجتمع ويدفع به نحو الأفضل. وثمة نوعين من المثقف،الأول هو المثقف الحقيقي والثاني هو المثقف المزيف[24]. المثقف الحقيقي هومن يقول كلمة (لا) ولكن المثقف المزيف هومن يقول (لاولكن) أي يبرر مالا يحتمل إلا النقد والمعارضة. المثقف الحقيقي هومن يدافع عن الحريات ويغير الواقع السائد، فهوالكائن الذي يصر على قول الحقيقة..

أم المفهوم الإدواردي للمثقف فيتمثل في أنه الشخص الذي يتحلى بقدرة خاصة في تجسيد هموم شعبه وإيصال رسالته ومواقفه وتوجهاته للناس. كما أنه رمز المعارضة والجرأة والتحدي ومواجهة الوضع القائم الذي لايتجاوب مع مباديء الحرية والعدل. المثقف هوالمنفي والهاوي والهامشي ،والذي لايتفادى المخاطر ولايبتعد عن المباديء التي يشعر بأنها صائبة وقويمة. فهو الإنسان الذي لايجامل ويراهن بشعوره النقدي على وجوده فهولايقبل بالإملائات والأفكار المبتذلة والجاهزة ولايرتبط بشريحة أومؤسسة أوحزب أوحتى قوميته وإنما هو وعي حر في العالم ولامنتمي.

والمفهوم الفوكوي للمثقف : هوالكائن الذي يسائل ويفحص المسلمات والمصادرات وذلك عبر التحاليل التي يجريها ضمن حقله الإختصاصي. أنه من يزعزع العادات وطرق العمل والتفكير والأشياء المألوفة والمسّلمة بها،ولكن المثقف ليس هومن يلعب دورالوصي على الناس ويحدد لهم ماينبغي فعله، بأي حق يحق له هذا؟ فالمثقف ليس هومن يكوّن الإرادة السياسية للناس. كما لاينبغي أن يحكم ولايدعي أنه ضميرالأمة أولسان حال

الجمهورأو المعبر عن الشعورالجمعي أوممثل شريحة إجتماعية. هذا الكائن ليس حارساً للحقيقة. وانما يختص في مجال من مجالات إنتاج المعرفة.

ففي المفهوم البينديايي للمثقف نجدأن المثقفين هم عُصبة صغيرة من الملوك و الفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الإستثنائية وبالحس الأخلاقي الفذ ويشكلون ضمير البشرية. انهم من أمثال يسوع المسيح وسقراط وسبينوزا وفولتير ونيتشة وارنست رينان.. يعرضون حياتهم لمخاطرالصلب والحرق والنبذ والملاحقة والمحاكمة. وعددهم قليل جداً ،كما أن موقفهم هو موقف المحاججة والمعارضة للأوضاع السائدة ،كماأنهم يدافعون عن قيم أزلية كالحق والعدل(25).

فمن هذا المنطلق، المثقف بهذا المعنى القوي لا يتحدد وضعه بنوع علاقته بالفكر والثقافة، ولا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره وليس بيده، بل يتحدد وضعه بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع ومعترض ومبشر بمشروع، أو على الأقل كصاحب رأي أو قضية. يقول بول باران: "إني أقترح أنه عندما يتعلق الأمر بموقف إزاء القضايا التي تطرحها الصيرورة التاريخية بأكملها، يجب أن نبحث عن الخط الفاصل بين العمال الفكريين والمثقفين"(26) . إن الرغبة في الكشف عن الحقيقة ليست إذن إلا أحد الشرطين ليكون الشخص مثقفا . أما الشرط الثاني أن يكون شجاعا، أن يكون مستعدا أن يصل بالبحث العقلاني إلى أبعد مدى. فالمثقف إذن هو في جوهره ناقد إجتماعي، هو الشخص الذي يسعى من خلال العمل والتحليل والنقد إلى المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام تحقيق نظام إجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية وعقلانية. فإن مكانة المثقف تتجلى من خلال الدور الذي يلعبه داخل مجتمعه وبيئته، هذا الدور الذي بإمكانه أن يكون تدميري إذا ماكان هذا المثقف عضويا شارك في تأزيم العلاقات بين المستعمر والمستعمر أي السلطة الحاكمة والشعب(27).

هناك وجوه التشابه والتباين في التعريفات المذكورة حول المثقف،لذا لايمكن أن نعتمد على مفهوم واحد عند ذكر هذا المصطلح وهذا بحد ذاته إشكالية كبيرة تفتح المجال أمام السجال. فإن كل تعريف ذكرناه ولمسناه عند المفكرين والفلاسفة المذكورين يحتمل بحوث ودراسات عديدة ومختلفة لشرح وتأويل نظرياتهم ورؤاهم الفكرية والمعرفية لمسألة المثقف

وماهيته ،وهذا بحدذاته يدل على أن ثمة تراث ثقافي وعلمي غزير عن المثقف يمكنه أفادتنا وإفساح المجال لنا لبحث مفهوم هذا الكائن على صعيد أوسع.

ـ من خلال ما سبق يصح القول بأن مفهوم المثقف من المفاهيم الشائكة والتي يصعب تحديد إطار محدد لها أوتعريف واحد .وإشكالية المثقف ومن هو وعلاقة المثقف ببيئته ومجتمعه علاقة شائكة مرت بمراحل عديدة منذ ظهورهذا المصطلح وطرأت عليه تغيرات في أوقات كثيرة وتوسع المفهوم أيضاً في فترات وأوقات معينة يقول المفكرالدكتور محمد عابد الجابري عن المثقف: " إنسان يفكر ويعمل بعقله من خلال معطيات وأفكار لها مرجعية يدور فيها وينطلق من خلالها في أعماله وأفكاره "(28).

حتى حديث الجابري قدلايشبع كثيراً .وبالإمكان سرد تعاريف كثيرة للمثقف لكنها جميعاً إن لم تتفق تماماً في التعريف للمفهوم لكنها لاتختلف كثيراً في السياق الذي من خلاله تم التعريف لهذا المفهوم.

ـ من الملاحظ أن بعض التعريفات المذكورة سابقا تتفق في أن المثقف عليه أن يشارك وبفاعلية في تغيير نمط الحياة، لافقط عن طريق إبداع أفكار وقيم جديدة تؤثر على سلوك الناس، بل وكذلك المشاركة النوعية في خدمة الشأن العام بما يتماشى مع ماهية الثقافة وفق من عرّفها على أنّها "الجهد المبذول لتقديم مجموعة متماسكة من الإجابات على المآزق المحيرة التي تواجه المجتمعات البشرية في مجرى حياتها"(29) .

ـ ختام القول أنه و برغم الكتابات الكثيرة حول مفهوم المثقف، لم يتم التأكيد بعد على مفهوم دقيق ونهائي للمصطلح، إذ لم يتوصل بعد هؤلاء الكتاب والفلاسفة إلى تحديد مفهوم واحد له. خاصة مع إختلاف المرجعيات والإيديولوجيات التي ينطلق منها كل فرد في فهمه للمثقف. هذا الأخير الذي يعني في الثقافة الغربية الموقف الرافض المتصلب الذي يسعى للتغيير وهو بذلك مثقف عضوي، أما في الحضارة العربية الإسلامية فهو عادة مرتبط بالمؤهلات العلمية وهو في هذه الحالة مثقف منسق. لذلك إذن يبقى الجدال قائما حول هل المثقف هو من يمارس الفعل الثقافي والفكري كمنتج للأفكار فقط،أم هو الذي يشارك في تغيير الواقع السائد، أم هو ذلك المشتغل في المجال الثقافي الواسع. لكنه عموما يمكن القول أن المثقف ليس فقط من يقدم معنى معرفي، بل يجب عليه أن يشارك في عملية التغيير في قضايا مجتمعه.فهو ذلك الإنسان الذي يتدخل في الحياة الاجتماعية معتمدا على ثقافة واسعة

محاولا استعمالها في الشأن الاجتماعي بهدف تغييره نحوالأفضل ونصرة مباديء العدالة والحق.

الإحـالات :

(1): عزمي بشارة، مجلة تبين، (عن المثقف والثورة)، العدد 4 ،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر ماي 2013، ص – ص 2- 4.

(2): علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، ،لبنان، دار الأمير، الطبعة الثانية، 2007، ص49.

(3): نفس المرجع، ص ـ ص 50ـ51.

(4): عزمي بشارة، المرجع السابق، ص1.

(5): سورة الأنفال، أية 57.

(6): محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 14.

(7): نفس المرجع ، ص 15

(8): نفس المرجع، ص 17.

(9): إميل فرانسوا زولا ،كاتب فرنسي ساهم في تطوير المسرحية الطبيعية ،وشخصية هامة في المجالات السياسية ،كما ساهم في تبرئة من اتهموا زورا في قضية ألفريد دريفوس.

(10): عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 200، ص23.

(11): كلمة بولندية الأصل، تدل على شريحة إجتماعية تمتهن العمل الذهني المعقد ذا الطابع الإبداعي وتشتغل في إدارة الإنتاج وتطوير الثقافة وتهتم بنشرها.للمزيد أنظر: نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، من بداية القرن 20لغاية الاستقلال، مقدمة: محفوظ قداش، الجزائر، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص82.

(12): عزمي بشارة، المرج السابق، ص7.

(13): جودي بكاكرية، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري، إشراف الدكتور: عبد الغني مغربي، رسالة لنيل شهادة الماجستير،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، سنة 2009/2008، ص 49.

(14): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 99

(15): فيلسوف واقتصادي بريطاني آمن جدا بمعتقداته الفلسفية، كان يجاهر باستمرار بأن السعادة هي الغاية الحميدة للوجود البشري وكان يمقت سحق الأفراد تحت وطأة واستبداد السلطة الحاكمة.

(16): قاسم عبد الأمير عجام، مجلة المدى الثقافي، عدد 552، ديسمبر 2005، ص 11

(17): نوارة حسين، المرجع السابق، ص 55

(18): نفس المرجع، ص 61

(19): نفس المرجع، ص 81

(20): فؤاد البستاني، منجد الطالب، بيروت، دار المشرق، 1986، ص 93.

(21): مناضل ماركسي إيطالي، صحفي وفيلسوف سجنه موسوليني في 1926 إلى غاية 1937، وقد كتب مذكراته بالسجن، كما اصبح في كتاباته الصحفية من كبار المحللين الإجتماعيين ذوي التأملات العميقة. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص32.

(22): إدوارد سعيد، نفس المرجع، ص 34.

(23): محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 19.

(24): عدالت عبد الله، يومية إيلاف الإلكترونية، قراءة في مفهوم المثقف، 14فيفري 2009، ص3

(25): المرجع نفسه.

(24):): فاطمة الزهراء حلوى، المثقفون الجزائريون والثورة، رسالة لنيل شهادة الماجستير تربوي ثقافي، إشراف: الدكتور عبد الغاني مغربي، السنة الجامعية 2009/2008، ص 104.

(25): نفس المرجع، ص 105.

(27): محمد عابد الجابري، نفس المرجع، ص 73

(28): فتحي الحبوبي، الحوار المتمدن ، المثقف وهواجس قول الحقيقة وفعل التغيير واستقلالية الموقف، 02مارس 2015.